معوقات تحقيق المخطوط العربي " التصحيف والتحريف " أنموذجا

سليم خيراني
أستاذ محاضر " ب " في قسم اللغة العربية وآدابها
– جامعة علي لونيسي – البليدة 02
البريد الالكتروني: salimkhirani@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/07/15 **تاريخ القبول:2019/10/23** **تاريخ النشر: 2019/12/12**

ملخص

يبحث هذا المقال في معوقات تحقيق المخطوطات، تحديدا في مشكلة التصحيف والتحريف، والتي ألّف فيها العلماء والمحققون كتبا عدة؛ لتوجيه المبتدئين في علم التحقيق حتى لا يقعوا في سوء فهم النصوص التراثية، وتصويب الأخطاء الواردة في المخطوطات القديمة وتقديم نماذج مختلفة عنها مع توضيح الخطأ حتى يستقيم المعنى الذي أراده مؤلف المخطوط

الكلمات المفتاحية: المخطوط العربي ; صناعة الكتاب العربي ; تحقيق المخطوطات ; التصحيف ; التحريف

résumé

Cet article examine les obstacles à la réalisation des manuscrits, en particulier le problème de la désertification et des distorsions, dans lequel scientifiques et enquêteurs ont écrit plusieurs ouvrages afin de guider les débutants dans la science de l'investigation afin de ne pas mal comprendre les textes du patrimoine et de corriger les erreurs contenues dans les anciens manuscrits. La signification de l'auteur du manuscrit est correcte

Mots-clés: manuscrit arabe ; manuscrits ; Industrie du livre arabe ; Désinfection et distorsion.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين جعل ذكره حدائقَ للمؤمنين، ومناجاته غذاء أرواح المتقين، والتضرع إليه عزّ العاملين، نحمده على نعمه، ونسأله المزيد من كرمه، ونصلي ونسلم على من بُعث رحمة للعالمين.

إن فن تحقيق المخطوطات، من الفنون التراثية الأصيلة التي اهتم بها العلماء قديما؛ لِما لها من دور شريف في نقل العلم والمعرفة والحضارة، وهذا يؤكد مدى تمسك الأمة بأصالتها وثقافتها في علوم شتى، ذلك أن شرف العلم من شرف المعلوم، وحصول الأنس بالتراث العربي الإسلامي من منظور التحقيق والتدقيق موجب لإعمال الفكر، وإجالة النظر في أصول العربية وسننها.

ويعدُ انشغال أهل التحقيق بالمخطوط العربي انعكاساً صادقاً لتعلقهم بالثراث العربي الإسلامي الذي يُشكِّل الأداة المركزية في الحفاظ على اللغة العربية وعلومها، إلا أن هناك معوّقات تحول دون وصول هذه العلوم في شتى الميادين إلى الأجيال المتأخرة في صورة سليمة كاملة المعاني.

من بين معوقات التحقيق: التصحيف والتحريف، وهما أكبر آفة منيت بها المخطوطات العربية، فلا يكاد كتاب منها يسلم من ذلك، وكم من مخطوطات شوّهتها التصحيفات والتحريفات؛ لضعف القدرة والدراية

بإدراك ما قد يشوب عملية التحقيق عند بعض المحققين أو بسبب العجلة والتهاون عند بعضهم الآخر، بل ربما تصرّف البعض بتغيير الصواب وإثبات الخطأ في القراءة والتصحيح.

إن التصحيف والتحريف عائقان يصطدم بهما كثير من المحققين خاصة المبتدئين منهم؛ فأين تكمن الصعوبة في معرفة مواطن التصحيف والتحريف ؟ وهل يوجد فرق بينهما ؟ وبما يتميز أحدهما عن الآخر ؟ وما هي الأضرار الناتجة عنهما ؟ وهل ألّف العلماء كتبا في التصحيف والتحريف ؟

إن الهدف من هذا المقال المتواضع هو توضيح الفرق بين التصحيف والتحريف للباحثين في مجال تحقيق المخطوطات وتزويدهم بأهم الكتب التي تحدثت في هذا الموضوع.

وقد قسمت بحثي إلى مقدمة وفصلين وخاتمة.

أما المقدمة، فتضمنت حديث موجز عن فن تحقيق المخطوطات وإشكالية التصحيف والتحريف

وأما الفصلان، فهما كالآتي:

الفصل الأول (وفيه مبحثان) تناول تحقيق المخطوط العربي تعريفًا ونشأةً وصناعةً

وأما الفصل الثاني (وفيه مبحثان)، فتناول التصحيف والتحريف تعريفًا ونماذجَ لكل منهما

وأما الخاتمة، فتضمنت أهم النتائج التي حصدها عملي المتواضع، فعساه يكون لبنةً صغيرةً في صرح التراث العربي من أجل تيسير تحقيق المخطوطات العربية.

1 - الفصل الأول: تحقيق المخطوط العربي

1 – 1 :المبحث الأول: تعريف تحقيق المخطوط:

1 – 1 – 1: المطلب الأول: تعريف المخطوط (أو المخطوطة):

المخطوط هو: النسخةُ المكتوبةُ باليد[1]. وهذا التعريف يشمل كلّ نص كُتِب باليد كتابا كان أو غيره، وتسمية " مخطوط " مأخوذة من الكتابة الخطية، وهي تعني: طريقة تسجيل رموز الكلام باليد، ويقابله المطبوع، وهو الكتاب المنسوخ بالمِطبعة [2].

والمخطوط العربي: " هو الكتاب المخطوط بخط عربي سواء أكان في شكل لفائف أم في شكل صُحُف ضُمَّ بعضها إلى بعض على هيئة دفاتر أو كراريس " [3].

إن لفظة المخطوطات مرتبطة بالكتب التي لم تُطبع بعد، ولا تزال بخط مؤلفيها أو نُسّاخها. والعلمُ الذي يهتم بدراسة هذه المخطوطات وتحقيقها يُدعى: علم دراسة المخطوطات، ولعل أوّل من اعتنى بوضع الأصول المتعلّقة بتحقيق المخطوطات والتقعيد لها، هم المستشرقون في القرن التاسع عشر، الذين

أخرجوا بعض الكتب، مثل كتاب " الفهرست " لابن النديم، الذي حققه " فلوجل " سنة 1871 م، و" ومعجم البلدان " لياقوت الحموي، الذي حققه " فستنفلد " سنة 1868 م [4].

لقد عرف أسلافُنا الأوائل من العلماء قواعدَ تحقيق المخطوطات، ولكن ليس كعلم قائم بذاته كما قعّد له المستشرقون، " إذْ كانوا يتحرّون عن صحة نسبة النص إلى صاحبه، ويهتمون بضبطه، ويُقابلون بين أوجه روايات النص المختلفة؛ لانتقاء أوثقها " [5].

وقد يكون للمخطوطِ نُسَخٌ مُتعدِّدَةٌ (نُسَخُ المخطوط)، والتعاملُ معه يكون بالورقات وليس الصفحات، فنقول مثلا: يضمُ المخطوط 50 ورقةً وليس صفحةً، ولكل ورقةٍ وَجْهٌ وظَهْرٌ.

1 – 1 – 2: المطلب الثاني: تعريف التَّحْقيقُ:

أ - لُغَةً [6]:

إنَّ لفظةَ " التحقيق " مأخوذة من " حَقَّ "، ولَها معانٍ مُتعدِّدة، وهي لا تَخْرُجُ عن مفهومٍ واحدٍ، وهو الثُّبُوتُ والمُطَابَقَةُ لِلْوَاقِعِ.

- الحَقُّ: نقيضُ البَاطِلِ. والحقُّ: من أسماء الله عز وجل، وقيل من صفاته. والحَقُّ: صِدْق الحديثِ. والحَقُّ: اليَقين بعد الشكِّ.

- وحَقَّ الأَمرَ يَحُقُّهُ حَقًّا وأحقَّه: كان منه على يقين.

- شَيْءٌ مُحَقَّقٌ: أي مُحْكَمٌ، وكلامٌ مُحَقَّقٌ أي رَصِين، وثوبٌ مُحَقَّقٌ إذا كان مُحْكَمَ النَّسْجِ.

- أَحَقَّ اللهُ الحَقَّ: أَظْهَرَهُ وأَثْبَتَهُ.

- استحقَّ الشيءَ: استوجبه.

- أَنا حَقِيقٌ على كذا، أَي: حَرِيصٌ عليه.

- الحِقُّ: من أولاد الإبل، الذي بلغ أن يُرْكب ويُحمَل عليه.

- الحُقُّ: المَنْحوتُ من الخشب والعاج وغير ذلك ممَّا يصلح أَن يُنحت منه.

- بنات الحُقَيْقِ: ضرْبٌ من رَدِيء التمر.

- الحَقْحَقَةُ: شدَّةُ السير.

- والتَّحْقِيقُ عند القدماء: إِثْبَاتُ المَسْأَلَةِ بِالدَّلِيل.

ب - اِصْطِلاَحًا:

عرّف مصطفى جواد التحقيق:" الاجتهاد في جعلها [أي النصوص] ونشرها مطابقة لحقيقتها كما وضعها صاحبُها ومؤلِّفُها، من حيث الخط واللفظ والمعنى، وذلك بسلوك الطريقة العلمية الخاصّة بالتحقيق" [7].

وعرَّف عبدُ السلام هارون التحقيق: "بَذْلُ عنايةٍ خاصَّة بالمَخطوطات، حتى يُمكن التثبُّت مِن استيفائها لشرائط مُعيَّنة. فالكتابُ المُحَقَّقُ، هو الذي صحَّ عنوانُه، واسمُ مؤلِّفِه، ونِسْبَةُ الكتابِ إليه، وكان مَتْنُهُ أقربَ ما يكونُ إلى الصُّورةِ التي تركَها مؤلِّفُهُ " [8].

وعرّف حسين محفوظ التحقيق بـ" إخراج الكتاب مطابقا لأصل المؤلف أو الأصل الصحيح الموثوق إذا فُقِدت نسخة المصنِّف " [9].

فالتّحقيقُ - حسب التعريفات السابقة - هو: بَذْلُ الجهْدِ في إِخْرَاجِ كِتَابٍ مَا على الصُّورَةِ التي تَرَكَهَا عَلَيهِ مُؤَلِّفُهُ أو على صُورَةٍ مُطَابِقَةٍ لِصُورَتِهِ الأصْلِيَّةِ.

وقد ذكر عبد السلام هارون الجهود التي تُبذَل في كل مخطوط يجب أن تتناول البحث في الزوايا التالية [10]:

1 - تحقيق عُنوان الكتاب.

2 - تحقيق اسم المؤلِّف.

3 - تحقيق نِسبة الكِتاب إلى مؤلِّفه.

4 - تحقيق متْن الكتاب حتى يَظهر بقدْر الإمكان مُقاربًا لنصِّ مؤلِّفه.

1 – 2 :المبحث الثاني: علم تحقيق المخطوط عند العرب

1 – 2 – 1: المطلب الأول: نشأة علم التحقيق عند العرب

رغم معرفة عرب الجاهلية بالكتابة فإنهم لم يستعملوها في حفظ تراثهم ونقله لأجيالهم اللاحقة، بل اعتمدوا في ذلك على الرواية الشفوية [11]، فالشعر والنثر الجاهلي انتقلا جيلاً بعد جيل مشافهة، إلى أن جاء الإسلام وظهرت الحاجة لتدوين القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم [12]. وقد تأخر تدوين الحديث إلى نهاية القرن الأول، حيث دوّن في عهد عمر بن عبد العزيز (ت101هـ) الذي " أمر محمد بن مسلم الزهري عالم الحجاز والشام وصاحب اليد البيضاء على فن الرواية لأنه أول من قرر شروطها (50- 124هـ) فدون الحديث تدويناً مراعياً فيه شروط الرواية الصحيحة " [13].

إنَّ هذه الرِّواياتِ الشَّفويَّةَ ارْتَبَطَتْ بالحِرْصِ الشَّدِيدِ والاهْتمامِ المُبَالغِ فيه لِمَا كانتْ تَحْمِلُهُ من مضامينَ تَخْدِمُ مَصَالِحَ قومٍ من جهة، وتُذِلُّ آخرين من جهة أخرى، فمثلا روايات الشِّعْرِ الجاهليّ (ديوان العرب)، والتي كان يَتَبَاهَى بِها الإنسان العربي في الجاهلية خاصةً شعر المدحِ والافتخارِ بالقومِ والنَّسَبِ ووَصْفِ الحروبِ والهجاءِ والعتابِ والرثاءِ...إلخ، و" كان شعراء القبائل وخطباؤها يُعتبرون لسان القبائل ودواوينها ومن

يحفظون أيام وأمجاد تلك القبائل ومآثرها " [14]، وعندما ينتهي شاعر القبيلة من قصيدته حتى " تتلقاها الأسماع ويتناقلها أبناء القبيلة كبارها وصغارها، فتُنْشد في المجالس وتُعاد في المناسبات " [15]. فهذه الدوافعُ وغيرُها جَعَلَتِ الإنسانَ يَسْتَوْدِعُ هذه الروايات الشفوية في صدرِهِ، ويعملُ على تَوْرِيثِهَا جِيلاً بعد جيل إلى أنْ ظهرتِ الكتابةُ التي احْتَضَنَتِ منها الكثير.

ويُعدّ جمع القرآن في حقيقته عملا تحقيقيا حيث كان الصحابة - رضي الله عنهم - يشترطون في قبوله أن يشهد به شاهدان من أجل تأكيد نسبته لله تعالى. فبعد مَقْتَلِ القُرَّاءِ بِحَادِثَةِ اليمامة [16] عَمدَ أبو بكر رضي الله عنه إلى جَمْعِ القرآنِ في مصحف واحد[17] من صدورِ الرِّجالِ ومن الكرانيف[18]، وأجزاء العُسُبِ[19]، والقُضُمِ[20]، والرّقاعِ[21]، واللِّخافِ[22]، والأكتافِ والأضلاعِ. وقد تَكَوَّنَ فريقٌ من الصحابةِ برئاسةِ زَيْدٍ بن ثَابِت، وكانوا يكتبون القرآنَ بعد مُقَابَلَةِ ما هو موجودٌ في صدورِ الرِّجالِ وما هو موجودٌ مُثْبَتٌ على أحَدِ الوسائلِ المذكورةِ السَّابقةِ (العُسُب، القُضُم، الرّقاع...)، فَهُمْ بِهذا العمل مارسوا عَمَلَ التَّحْقِيقِ، لكن ليس كَعِلْمٍ قَائِمٍ بِذَاتِهِ، واستطاعوا أنْ يَحْفظُوا القرآنَ بذلك.

ويعتبر تدوين القرآن والحديث النبوي الشريف هو النواة الأولى للحركة العلمية التي عرفها العرب فيما بعد، فكل الإنتاجات المعرفية كانت خدمة للقرآن والحديث وما يتصل بهما من لغة وأدب وتاريخ وهكذا نشطت وازدهرت حركة التأليف عند العرب، فخلفوا آلاف المخطوطات في أغلب مجالات المعرفة الإنسانية.

وإذا كان التحقيق قد ظهر عند العرب قديما، فإنه لم يكن علما مستقلا له أصوله ومناهجه الواضحة التي تدرس بل مجرد إجراءات وعمليات يقوم بها بعض الأفراد. وقد تطورت هذه الإجراءات حيث ظهرت غيرها، كالفهارس، وعلامات الترقيم، والشرح والتعليق، والمقدمة والخاتمة. لقد ظَلَّ التَّحقيقُ مستمرًا ومستعملاً حتى عصر الانحطاط، والذي تَمَيَّزَ بظهور المُتُونِ والشُّروحِ والمختصرات. وكانت الكتب لهذا العهد " خطية ونادرة وقليلة النسخ ومتفرقة في شتى النواحي وغالية الثمن" [23].

1 – 2 – 2: المطلب الثاني: صناعة الكتاب العربي المخطوط [24]:

حدد القدماء لصناعة الكتاب المخطوط أركانا أربعة هي:

الكاغد (الورق)، والمداد (الحبر)، والقلم (الخط)، والتجليد (التسفير) .

أولا - الورق: لقد عرف العرب أنواعا من الورق ساهمت في توثيق تراثنا العربي الإسلامي، ومن بين هذه الأنواع نجد: البردي، الرَّق والكاغد.

1 – **البردي** [25]: وهو ورق من نبات من فصيلة السعد (souchet) كان يُزرع بين المشاتل، وكان الورق يُتّخذ من لبابه، وهو لبابٌ لِيفِيٌّ لزِجٌ يُقطع إلى شرائح طولية بعد قشرها وتوضع الواحدة إلى جانب الأخرى، ثم تُردف بطبقة ثانية من هذه الشرائح متعامدة مع الأولى، وتُطرق الصحائف بِمطرقة خشبية لتسويتها ولِتَتَّحدَ أجزاؤها بواسطة اللزوجة الطبيعية.

لقد ظلت صناعة الورق (البَرْدي) في الدول الإسلامية صناعة مصرية خالصة طوال القرن الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة حتى أخذ الورق الصيني (الكاغد) مكانه إلى جانبه، وكانت مصر البلد الذي يَمدُّ سائر الأقطار بأوراق البردي، وأطلقت المصادر العربية القديمة على البردي المصري " القراطيس المصرية ".

2 - **الرَّق**[26]: المادة الأصلية للرّق هي من أصل حيواني، تُستخدم فيه جلود الخراف والماعز والبقر والغزال وربّما الحمير، وكان جلد الخراف هو الأكثر استخداما في هذا الغرض.

وكان الرَّقُ يُصنع عن طريق نزع الشعر من جذوره وإزالة النجاسات الموجود عليه باستعمال الجير أو أية مادة حفظ أخرى، ويُترك ليجف مع شَدِّه على إطار خشبي. ومن خواص الرَّق قدرته على البقاء الطويل، لكن في المقابل له عيوب من أهمها إمكانية مَحْو ما فيه وإعادة استخدامه مرة أخرى.

3 – **الكاغد**[27]: وهو ورق يُعْمل من الكِتَّان أو القنَّب، وخاصة ما يُعرف منه بالورق الخراساني.

وقد وجد الرَّقُ منافسة شديدة من الكاغد عند ظهوره، وخاصة فيما يتعلَّق بالكتابات التي تُنَظِّمُ معاملات الناس وتُوَثِّقُها ويقع التقاضي بِها، إذْ أصدر الخليفة هارون الرشيد أمرا: " ألا يكتب الناسُ إلاّ في الكاغد؛ لأنّ الجلودَ ونَحْوَهَا تَقْبل المَحْو والإعادة، فتقبل التزوير، بِخلاف الورق، فإنّه متى مُحِيَ فَسدَ، وإن كُشِطَ ظهر كَشْطُهُ "[28].

أنواع الورق (الكاغد):

ذكر ابن النديم أن المادة التي كان يُعْمَل منها الورق المعروف بـ" الورق الخراساني " هي " الكتان " وأن صُنَّاعًا من الصين عملوه بِخراسان على مثال الورق الصيني. وعَدَّدَ بعد ذلك ستة أنواع، هي: " السُّلَيْماني والطَّلْحي والنُّوحي والفرعوني والجَعفري والطاهري "[29].

أما الورق السُّلَيْماني، فمنسوب إلى سليمان بن راشد والي خراسان في أيام هارون الرشيد. والورق الطلحي يُنسب إلى طلحة بن طاهر ثاني أمراء الدولة الطَّاهرية في خراسان. والورق النّوحي كان منسوبا إلى أحد أمراء الدول السامانية التي حكمت تركستان وفارس " نوح الأول السامانى أو نوح الثاني السامانى ". وأما الورق الفرعوني، فضرب آخر نافس ورق البردي في مصر. وأما الورق الجعفري، فنسب إلى جعفر بن يحي بن خالد البرمكي. وأما الورق الطاهري، فيُنسب إلى طاهر الثاني أحد أمراء الدول الطّاهرية في خراسان [30].

وأشار ياقوت الحموي إلى " الورق الجهاني " ، الذي يُنْسبُ إلى مدينة جَيْهان [31] إحدى مدن خراسان، و" الورق المأموني " [32] المنسوب إلى الخليفة المأمون العباسي.

ثانيا: الحِبْرُ والمداد: الحِبْرُ أصله: اللون، يقال فلان ناصع الحبر يُراد به اللون الخالص الصافي من كل شيء. وفي اللسان: " الحِبْرُ: المداد، والحِبْرُ والحَبْرُ: العالِمُ، ذِمّيًا كان أو مسلما. وكلُّ ما حَسُنَ من خطٍ أو كلامٍ أو شِعْرٍ أو غير ذلك، فقد حُبِرَ حَبْرًا.. وفي حديث أبي موسى: لو علمتُ أنّك تسمع لقراءتي لَحَبَّرْتُهَا لكَ تَحبيرًا؛ يريدُ تَحسِينَ الصَّوْتِ "[33].

" وأما المداد، فَسُمِّيَ بذلك لأنه يَمُدُّ القلمَ أي يُعينهُ، وكل شيءٍ مددت به شيئا فهو مداد، وسُمِّيَ الزَّيْتُ مِدادًا؛ لأنَّ السِّراج يُمَدُّ بهِ " [34].

وأما أنواع الحبر المستعملة من قِبَل الخطاطين والنساخ، فمنها: العَفْصُ، والزَّاج، والصَّمْغ، والماء العذب. وكانت هناك أنواعٌ من الحبر تناسب الكتابة على الرَّق وأخرى تناسب الكتابة على الكاغد (الورق) [35].

ثالثا: صناعة التجليد (التّسفير):

تعتمد هذه الصناعة على توظيف بعض المواد مثل: الجلد والحرير والورق والخشب والخيط والغراء، بالإضافة إلى حرفية الصانع في الحَبْكِ والقص والوشم وغير ذلك.

1 - **التجليد المبكر**[36]: في بداية الأمر كانت أوراق المخطوط تُجْمع بين لوحين من الخشب، وأضيف إلى هذا التجليد البدائي كسوة من الرَّق أو القماش أو صفائح المعدن، ثُم أضيف إلى هذا كله قفل واحد أو أكثر؛ لقفل المجلد قفلا محكما، لذلك كانت هذه الكتب ثقيلة الوزن جدا.

2 - **تطور صناعة التجليد**[37]: تقدّم المسلمون في بعض الأقطار في فن صناعة وتجليد الكتاب، وعرفوا طريقة الدّق أو الضَّغْط، كما استخدموا التخريم والدهان والتلبيس بالقماش، وكانوا أحيانا يقطعون الجلد بالرسم الذي يريدونه ثُمّ يلقونه على الأرضية الملوّنة - عادة كانت تُتَّبَع في زخرفة جلدة الكتاب من الداخل- ثُمّ يُذَهِّبُون الخطوط والرسوم بعد ذلك.

2 - الفصل الثاني: التصحيف والتحريف

التصحيف والتحريف من الأمور الشائعة في المخطوطات والكتب، وهما من الأشياء التي يُبتلى بها المحقق كثيرا، وهو يحاول إقامة النص الذي بين يديه، ورُبَّ تصحيف في اسم من أعلام الأشخاص، أو في عبارة من متن الكتاب، أخذ منه وقتا طويلا، قبل أن يهتدي فيه إلى الصواب، وربما بقي لغزا، فتركه لمن بعده.[38]

وعلى المحقق أن يكون فطنا لمواقع التصحيف والتحريف، حتى يرد الأمور إلى نصابها، وأن يصيب قول المؤلف، ففنُّ التصحيف والتحريف فنّ عظيم، لا يتقنه إلا الحفاظ الحاذقون، وفيه حكمٌ على كثير من العلماء بالخطأ، ولذلك كان من الخطر أن يُقْدِمَ عليه من ليس له بأهل.[39]

2 – 1: المبحث الأول: التصحيف

2 – 1 – 1: المطلب الأول: تعريف التصحيف

أ - لغة[40]**:**

التصحيف مأخوذ من " الصحيفة " وتعني الكتاب، ومعنى التصحيف لغة: الخطأ في الصحيفة. ويريد اللغويون من قولهم: الخطأ في الصحيفة: الخطأ في قراءتها، ومن هنا سُمي من يُخطئ في قراءة الصحيفة " صَحَفِيًا " بفتح أوله وثانيه[41].

ب - اصطلاحا [42]:

هو الالتباس في نَقْطِ الحروف المتشابِهة في الشكل، مثل الباء والتاء والثاء، والجيم والحاء والخاء، والدال والذال، والراء والزاي، والسين والشين، والصاد والضاد، والطاء والظاء.

2 – 1 – 2: المطلب الثاني: نماذج من التصحيف[43]:

- الآية الكريمة ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ القصص: 08

قُرئت كلمة " حزنا " تصحيفا " حربا "

- ذكر السيوطي في كتابه المزهر[44]:" صحّف حماد بن الزبرقان ثلاثة ألفاظ في القرآن لو قُرئ بها لكان صوابا؛ وذلك أنه حفظ القرآن من مصحف ولم يقرأه على أحد:

اللفظ الأول: " وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا أباهُ " يريد: إيّاه

والثاني: " بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي غِرَّةٍ وَشِقَاقٍ " . يريد: عِزَّة.

والثالث: " لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعنِيهِ ". يريد: يُغنيه

- وفي كتاب المزهر أيضا: " قال الأصمعي: كنت في مجلس شعبة، فروى الحديث، فقال: تسمعون جرش طير الجنة – بالشين -، فقلت: جَرْس بالسين، فنظر إليَّ وقال: خذوها منه، فإنه أعلم بهذا منا " [45].

- ومن طريف التصحيف ما ورد في إحدى مخطوطات كتاب الحيوان [46] للجاحظ، في خطبة من خطب الحجّاج بن يوسف: " يا أهل الشام، أنتم الجبة والرداء "، وإنّما هي " الجُنَّة " بالجيم المضمومة والنون المشددة، وخي ما واراك من السلاح واستترت به.[47]

- حكى القاضي أحمد بن كامل عن أبي العيناء، قال: حضرتُ بعض مشايخ الحديث من المغفلين، فقال: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن جبريل، عن الله عن رجل. قال: فنظرت، فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخا لله ؟ .[48]

- قال أبو بكر بن الأنباري [49]: سمعت القاضي المُقَدَّمي يحكي عن إبراهيم بن أُورْمَةَ الأصبهاني قال: قرأ عثمان بن أبي شيبة " جعل السِّقاية في رِجْلِ أخيه " فقيل له: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ [يوسف: من الآية 70].

- روى الأصمعي بيت ذي الرمّة:

فيها الضفادع والحيتان تصطخب

فقال أبو علي الأصفهاني: أيُّ صوت للسمك، إنّما هو تصطحب، أي: تتجاور.[50]

2 – 2: المبحث الثاني: التحريف

2 – 2 – 1: المطلب الأول: تعريف التحريف

أ - لغة [51]:

التحريف مصدر للفعل حرَّفَ، وحرَّفَ الشيءَ: أماله. يُقال: حرَّفَ القلمَ: قطَّهُ مُحرَّفًا. وحرَّفَ الكلامَ: غيَّرَهُ وصرفه عن معانيه. وفي التنزيل: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينوَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: من الآية 46]

ب - اصطلاحا [52]:

التحريف متعلّق بتغيير شكل (رسم) الحروف المتشابِهة في الصورة، مثل الدال والراء، والدال واللام، والنون والزاي. أو غير المتشابِهة في الصورة، مثل الميم والقاف، واللام والعين.

2 – 2 – 2: المطلب الثاني: نماذج من التحريف[53]:

ضاء – ضاع

حريق – غريق

قصم - عصم

طريح - ضريح

ضيف – طيف

سام – صام

طار – صار

صفير - صغير

صال – جال

هاد – هار

خرج – فرج

قيس - ميس

راعي – داعي

قريب – غريب

صب – حب

حيف - صيف

منابر – مقابر

يمامة – حمامة

طيب – طير

صديد - سديد

لقد اهتم العلماء القدامى بالتصحيف والتحريف وأولوها عناية كبيرة، وألّفوا فيها كتبا كثيرة، منها [54]:

- مختلف القبائل ومؤتلفها، لمحمد بن حبيب (ت: 245 هـ)

- التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة الأصفهاني (ت: 360 هـ)

- التنبيهات على أغاليط الرواة، لعلي بن حمزة (ت: 375 هـ)

- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، لأبي أحمد العسكري (ت: 382 هـ)

- التصحيف، لأبي الحسن بن عمر الدارقطني (ت: 385 هـ)

- المؤتلف والمختلف، للآمدي (ت: 370 هـ)

- المؤتلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث، للأزدي (ت: 409 هـ)

- الإيناس في علم الأنساب، للوزير المغربي الحسين بن علي (ت: 418 هـ)

- الإكمال في رفع الارتياب، لابن ماكولا (ت: 430 هـ)

- تلخيص المتشابه، للخطيب البغدادي (ت: 463 هـ)

- التصحيف والتحريف، لعثمان بن سعيد اليلطي (ت: 600 هـ)

- الاستدراك، لابن نقطة (ت: 629 هـ)

- المشتبه في الرجال؛ أسمائهم وأنسابهم، للذهبي (ت: 748 هـ)

- التطريف في التصحيف، لجلال الدين السيوطي (ت: 911 هـ)

خاتمة

إن علم تحقيق المخطوطات هو همزة وصل بين الجيل الجديد والأجيال السابقة الضاربة في التاريخ، وعلى عاتق المحققين تقع مسئولية حماية تراث الأمة التليد من الضياع وإيصاله سالما إلى آخر قارئ في هذه الدنيا، ولكن يجب علينا الحذر من عدم الوقوع في فخ التصحيف والتحريف، حتى لا تصل إلينا النصوص التراثية في غير الوجه الذي أراده مؤلفوها الأوائل.

لقد عنى بمعرفة التصحيف والتحريف علماء كُثُر، خاصة علماء التحقيق، حيث ألفوا كتبا عدة؛ لتنبيه القراء عن الأضرار الناتجة عن سوء فهم نصوص المخطوطات القديمة بسبب تفشي ظاهرتي التصحيف والتحريف، وقد حاولت جاهدا الاقتراب من هاتين المشكلتين، ولعل في محاولة الاقتراب من النبع ما يكشف عن تعلق وجداني بفن تحقيق المخطوطات العربية.

من خلال بحثي المتواضع، استطعت أن أصل إلى النتائج التالية:

1 - أهمية معرفة الأضرار الناجمة عن التصحيف والتحريف.

2 - اهتمام العلماء القدامى بظاهرتي التصحيف والتحريف وتأليف عشرات الكتب في ذلك.

3 - جمع أكبر عدد ممكن من نسخ المخطوط، ومقابلتها مع بعضها البعض؛ للتقليل من السقوط في فخ التصحيف والتحريف.

4 - الرجوع إلى مصادر الأحاديث والأقوال المستشهد بها في المخطوطات، في حالة وجود اللبس.

5 - قراءة المخطوطات العربية بحذر وعدم التسليم بكل ما هو مكتوب.

6 - وجوب تصحيح الأخطاء الواردة في المخطوطات، والإشارة إلى ذلك في الهامش.

7 - الإكثار من قراءة الكتب التراثية؛ للحصول على المَلَكة والتعود على اللغة المستعملة في المخطوطات العربية القديمة.

8 - الاستعانة بأصحاب الخبرة في مجال تحقيق المخطوطات؛ للتقليل من خطر التصحيف والتحريف.

وفي الأخير، وإن بذلتُ الجهد فيما استطعت، لا أقول إنّي بلغتُ درجةَ الكمال في العلم، وأمَلِي أن يكونَ عملي من التقصير أبْعَد ومن الإجادة أقْرَب، وأستعين بما قاله الشيخ خليل في ديباجة مختصره، ولعله أصدق تعبير عن النقص البشري، والقصور الإنساني في بلوغ الكمال المعرفي. يقول الشيخ خليل: " ثم أعتذر لذوي الألباب من التقصير الواقع في هذا الكتاب، وأسأل بلسان التّضرع والخشوع، وخطاب التذلل والخضوع، أن ينظرَ بعين الرضا والصواب، فما كان من نقص كمّلوه، ومن خطأ أصلحوه، فقلّما يخلص مُصنَّف من الهفوات، أو ينجو مؤلف من العثرات " [55].

والله وليّ التوفيق والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص

- ابن كثير، البداية والنهاية، ط 06، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1988.
- ابن منظور، لسان العرب، ط 02، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992.
- ابن النديم، الفهرست، تحق: رضا تجدد المازندراني، د ط، مطبعة مهر- طهران، إيران، 1971.
- أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، تصحيفات المحدّثين، تحق: محمود أحمد ميرة، ط 01، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، مصر، 1982.
- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، د ط، دار الكتب الخديوية، القاهرة، مصر، 1914.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تحق: عبد السلام محمد هارون، ط 02، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1967.
- أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ط 01، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 1997.
- جان عبد الله توما، تحقيق المخطوطات العربية، ط 01، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2001.
- حمزة بن الحسن الأصفهاني، التنبيه على حدوث التصحيف، تحق: محمد أسعد طلس، ط 02، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992.
- خليل بن إسحاق المالكي، مختصر العلّامة خليل، تع: أحمد نصر، د ط، دار الفكر، سوريا، 1981.
- الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، ط 01، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2006.
- صفوان عدنان داوودي، زيد بن ثابت كاتب الوحي وجامع القرآن، ط 02، دار القلم، دمشق، سوريا، 1999.
- عابد سليمان المشوخي، أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري، د ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1994.
- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق مجموعة من الباحثين، ط 03، دار التراث، القاهرة، مصر، د ت.
- عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، ط 2، مكتبة مصباح، جدة، المملكة السعودية، 1989.
- عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط 07، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1998.
- عبد الله بن أحمد الحوثي، الوافي في أسس وخطوات تحقيق ونشر المخطوطات، د ط، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، 2004.

- عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، ط 02، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1993.
- عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، ط 01، مكتبة العلم، جدة، المملكة العربية السعودية، 1982.
- محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، د ط، عالم الكتب، حلب، سوريا، 1986.
- محمد ماهر حمادة، رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكرا ومادةً، ط 01، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1992.
- محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، د ط، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، 1957.
- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، د ط، مكتبة الإيمان، القاهرة، مصر، د ت.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية – مصر، د ط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.
- مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، ط 02، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1998.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحق: محمد نعيم العرقسوسي، ط 08، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2005.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977.

المجلات

- عبد الوهاب محمد علي، أمالي مصطفى جواد البياتي في فن تحقيق النصوص، مجلة المورد - العدد الأول - 1397هـ / 1977م.

الهوامش

[1]: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية – مصر، د ط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، مادة " خط "

[2]: عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، ط 01، مكتبة العلم، جدة، المملكة العربية السعودية، 1982، ص: 34

[3]: عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، ط 2، مكتبة مصباح، جدة، المملكة السعودية، 1989، ص: 15

[4]: مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، ط 02، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1998، ص: 140.

[5]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6]: ابن منظور، لسان العرب، ط 02، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992، مادة " حقق ".

[7]: عبد الوهاب محمد علي، أمالي مصطفى جواد البياتي في فن تحقيق النصوص، بحث منشور في مجلة المورد - العدد الأول - 1397هـ / 1977م، ص: 119. (أصلها دروس أملاها على طلبة جامعة بغداد).

[8]: عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط 07، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1998، ص: 42.

[9]: عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، ص: 36.

[10]: عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص: 42.

[11]: الرِّواية في معناها الحسي: هو البعير أو الدابة التي يُستقى عليها الماء، والرجل المُستقى أيضا راوية، ورجلٌ روّاءٌ: إذا كان الاستسقاء بالرِّواية له صناعته. عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، ط 02، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1993، ص: 19.

[12]: ينظر: محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، د ط، عالم الكتب، سوريا، 1986، ص: 15.

[13]: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، د ط، مكتبة الإيمان، القاهرة، مصر، د ت، ص: 238.

[14]: عبد الله بن أحمد الحوثي، الوافي في أسس وخطوات تحقيق ونشر المخطوطات، د ط، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، 2004، ج: 01، ص: 22.

[15] : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[16] : معركة اليمامة هي إحدى معارك حروب الردة التي وقعت في منطقة اليمامة (غرب الحجاز) عام 11هـ في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ارتدت كافة القبائل العربية ما عدا مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، وتصدى أبو بكر للمرتدين، وحمى الإسلام من ذلك، حيث جُمع القرآن الكريم نتيجة لها، بعد مقتل سبعين صحابيا من حفظة القرآن. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ط 06، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1988، ج: 06، ص: 323 وما بعدها. وينظر: صفوان عدنان داوودي، زيد بن ثابت كاتب الوحي وجامع القرآن، ط 02، دار القلم، دمشق، سوريا، 1999، ص: 90.

[17] : ينظر: عابد سليمان المشوخي، أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري، د ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1994، ص: 29. وينظر: زيد بن ثابت كاتب الوحي وجامع القرآن، ص: 90.

[18] : الكرانيف: جمع كرنافة، وهي أصل السعفة الغليظة الملتصقة بجذع النخلة. لسان العرب، مادة " كرنف ".

[19] : العسب: جمع عسيب، وهي السعفة أو جريدة النخل حين تجف. لسان العرب، مادة " عسب "

[20] : القُضم: الجلد الأبيض يُكتب فيه. لسان العرب، مادة " قضم ".

[21] : الرِّقاع: جمع رقعة، والرقعة: هي الخرقة التي يُكتب فيها. لسان العرب، مادة " رقع "

[22] : اللِّخاف: حجارة بيضاء رقيقة. لسان العرب، مادة " لخف "

[23] : محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، د ط، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، 1957، ص: 12.

[24] : ينظر: أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ط 01، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 1997، 1 / ص: 13، 16 وما بعدها.

[25]: ينظر: محمد ماهر حمادة، رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكرا ومادةً، ط 01، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1992، 1 / 260 وما بعدها. أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، 1 / ص: 16 – 18.

[26] : ينظر: أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، 1 / ص: 18 – 20.

[27] : المرجع نفسه، 1 / ص: 20 – 23.

[28] : أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، د ط، دار الكتب الخديوية، القاهرة، مصر، 1914، 2 / 475 – 476.

[29] : ابن النديم، الفهرست، تحق: رضا تجدد المازندراني، د ط، مطبعة مهر- طهران، إيران، 1971، ص: 23.

[30] : أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، 1 / ص: 23.

[31] : ياقوت الحموي، معجم البلدان، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977، 02 / 202.

[32] : أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، 1 / ص: 24.

[33] : لسان العرب، مادة " حبر ".

[34] : أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، 1 / 32.

[35] : المرجع نفسه، 1 / 34 - 35.

[36] : المرجع نفسه، 1 / 38 - 40.

[37] : المرجع نفسه، 1 / 40 - 41.

[38] : الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، ط 01، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2006، ص: 153.

[39] : عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، ص: 165.

[40] : عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، ص: 154.

[41] : الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحق: محمد نعيم العرقسوسي، ط 08، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2005، مادة " صحف".

[42] : جان عبد الله توما، تحقيق المخطوطات العربية، ط 01، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2001، ص: 38.

[43] : عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، ص: 157 وما بعدها.

[44] : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق مجموعة من الباحثين، ط 03، دار التراث، القاهرة، مصر، د ت، 02 / 368 – 369.

[45] : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج: 02، ص: 354.

[46] : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تحق: عبد السلام محمد هارون، ط 02، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1967، 6 / 354.

[47] : عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص: 69.

[48] : أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، تصحيفات المحدّثين، تحق: محمود أحمد ميرة، ط 01، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، مصر، 1982، ص: 14.

[49] : المرجع نفسه، ص: 26 – 27.

[50] : حمزة بن الحسن الأصفهاني، التنبيه على حدوث التصحيف، تحق: محمد أسعد طلس، ط 02، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992، ص: 65 – 66.

[51] : المعجم الوسيط، مادة " حرف ".

[52] : جان عبد الله توما، تحقيق المخطوطات العربية، ص: 38.

[53] : عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، ص: 164.

[54] : محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، ص: 170. عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، ص: 156.

[55] : خليل بن إسحاق المالكي، مختصر العلّامة خليل، تع: أحمد نصر، د ط، دار الفكر، سوريا، 1981، ص: 09.